

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[298] فَإِنَّ كَلِمَةَ "مَوْعُوهَا" مُشْتَقَّةٌ مِنْ "مَوَاقِعَةٍ" بِمَعْنَى الْوُقُوعِ عَلَى الْآخِرِينَ، وَهِيَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنََّّهُمْ يَقْعُونَ عَلَى الذَّنَّارِ، وَأَنَّ الذَّنَّارَ تَقَعُ عَلَيْهِمْ؛ فَالذَّنَّارُ تَنْفِذُ فِيهِمْ وَهُمْ يَنْفِذُونَ فِي الذَّنَّارِ، وَقَدْ قَرَأْنَا فِي الْآيَةِ (24) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ قَوْلَهُ تَعَالَى: (فَاتَّقُوا الذَّنَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ). * * * بَحْثَانِ 1 - هَلْ كَانَ الشَّيْطَانُ مَلَكًا؟ كَمَا نَعْلَمُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَطْهَارٌ وَمَعْصُومُونَ كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ: (بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِ رَبِّهِمْ يَعْلَمُونَ) (1). وَيَعُودُ سَبَبُ عَدَمِ وَجُودِ التَّكْبَرِ وَالْغُرُورِ وَدَوَافِعِ إِرْتِكَابِ الذُّنُوبِ لَدَى الْمَلَائِكَةِ، إِلَى أَنَّ الْعَقْلَ لَا الشَّهْوَةَ يَتَحَكَّمُ فِي أَعْمَالِهِمْ. مِنْ نَاحِيَةٍ ثَانِيَةٍ، يَتَدَاعَى إِلَى الذَّهْنِ مِنْ خِلَالِ اسْتِثْنَاءِ إِبْلِيسَ فِي الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ أَعْلَاهُ (وَأَيَّاتُ أُخْرَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ) أَنَّ زَنْهُهُ مِنْ صِنْفِ الْمَلَائِكَةِ، بِأَنَّه كَانَ مِنْهُمْ. وَهَذَا يَرُدُّ عَلَى عَصْيَانِهِ وَتَمَرُّدِهِ وَالْإِشْكَالِ التَّالِي: كَيْفَ تَصْدُرُ ذُنُوبٌ كَبِيرَةٌ عَنْ مَلَكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ وَقَدْ جَاءَ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ "مَا كَانَ إِلَّا سُبْحَانَهُ لِيَدْخُلَ الْجَنَّةَ بِشَرَاءٍ بِأَمْرِ أَخْرَاجِ بِهِ مِنْهَا مَلَكَ" (2). الْآيَاتُ الْمَذْكُورَةُ تَحُلُّ لَنَا رَمُوزَ هَذِهِ الْمَشْكِلةِ حِينَئِذٍ تَقُولُ: (إِنَّ زَنْهُهُ كَانَ مِنَ الْجَنِّ)، وَالْجَنُّ كَائِنَاتٌ خَفِيَّةٌ عَنْ أَنْظَارِنَا لَهَا عَقْلٌ وَإِحْسَاسٌ وَغَضَبٌ وَشَهْوَةٌ، وَمَتَى مَا وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ كَلِمَةُ "الْجَنِّ" فَإِنَّ زَنْهُهَا تَعْنِي هَذِهِ الْكَائِنَاتِ ... لَكِنْ مَنُ يَعْتَقِدُ مِنَ الْمَفْسُورِينَ أَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّ زَنْهُمَا يَفْسُرُ الْآيَةَ الْمَذْكُورَةَ آنِفًا _____ 1 - الْأَنْبِيَاءُ، 26 - 27. 2 - نَهْجُ الْبَلَاغَةِ الْخُطْبَةُ (192) "الْخُطْبَةُ الْقَاصِعَةُ".